الإســـرائيليات المحكية في القرآن الكريم

دراسة تحليلية للمقالات الإسرائيلية التي حكاها القرآن وكذبها

د/ يحيى محمد عامر راشد
أستاذ التفسير والعقيدة الإسلامية المشارك – جامعة إب

الملخص :

لقد استهدف البحث عبر المنهج التحليلي التأصيل لهمجية الفكر الإسرائيلي وخرافيته، وإثبات ذلك من خلال استعراض المقالات الإسرائيلية التي حكاها الله عنهم في القرآن وكذبها وذلك على سبيل المثال لا الحصر. فقد كانت في جملتها بمثابة أدلة قطعية على همجية وخرافية الفكر الإسرائيلي، ابتداءً بمقالاتهم المتعلقة بالتطاول على الله والإساءة إليه وسوء الأدب معه، ومن ذلك وصفه بالبخل والفقر وغيرهما، مروراً بمقالات التأليه لعزير وعيسى- عليه السلام - والاعتقاد بأنهم أبناء الله وأن نسبهم يتصل عنصرياً بالذات الإلهية، واستباحة الأخر استباحة شاملة لما له ودينه وعرضه وأرضه..الخ، وربط الهداية باليهودية والنصرانية واعتبار ما سواهما أدياناً باطلة، مع الزعم بأن إبراهيم ومن بعده من أنبيائهم – عليهم السلام – كانوا من أتباعهما، وانتهاءً بالادعاء أن الجنة حق لهم لا يدخلها سواهم، وأن ذنوبهم مغفورة ، وأنهم لا يدخلون النار إلا أياماً معدودة، مهما ارتكبوا من الجرائم، ومهما اقترفوا من الآثام، لأن الله- كما يزعمون - قد وعدهم بذلك.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد فقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من أقوال اليهود والنصارى الكاذبة على سبيل الحكاية، ورد عليها وكذبها. والهدف من ذلك فيما يبدو ليس – فقط – التعريف بطبيعة الشخصية الإسرائيلية وفضحها والتشهير بها والتشنيع عليها، ولا التحذير من الوقوع فيما وقعت فيه، ولكن بالإضافة إلى ذلك فإن ذكرها يقع في إطار منهج سلوكي وتربوي عام رسمه الله للمسلمين وأمرهم بانتهاجه وفيه الموقف من الفكر الإسرائيلي على سبيل التحذير من الانزلاق الى هوَّة تصديقه، وهاوية الركون إليه فإنه مبني على الخرافة، ومؤسس على الزعم الباطل، وقائم على الادعاء الكاذب، في إشارة إلى أن شأنه في ذلك شأن هذه المقالات التي حكاها الله عنهم في القرآن على سبيل المثال ليقاس عليها غيرها، ويرد إليها بقيتها تأصيلاً لهمجية هذا الفكر وخرافيته ولا واقعيته.

وقد كان هذا هو موقف السلف الصالح من الإسرائيليات[1]..وهو ما أكده الرسول ﷺ بقوله:" لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم وقولوا: أمنا بالله وما أنزل إلينا "[2] الآية. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى

النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب فقال: "أمتهوكون[3] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني "[4].

وقبل الشروع في استعراض هذه المقالات التي حكاها القرآن عن اليهود والنصارى لابد من التعريف بموضوع البحث المركب من كلمتي (الإسرائيليات، والمحكية) ليكون مدخلاً تصورياً للبحث.

فالمقصود بالإسرائيليات: ما حكاه القرآن من أقوال اليهود والنصارى وإن كان لفظه يدل على حصره فيما قاله اليهود إلا أنه قد تُوُسّعَ في استعماله حتى صار يطلق على الروايات التي تروى عن اليهود والنصارى في تفسير القرآن، وذلك من باب التغليب لما روي عن اليهود لكثرته على ما روي عن النصارى لقلته[5].

وكذلك الحال في مقالاتهم التي حكاها القرآن، فما حكاه منها عن اليهود أكثر مما حكاه منها عن النصارى.

والمقصود بالمحكية: الأقوال التي حكاها الله عن اليهود والنصارى في القرآن. والمحكيُّ في القرآن بصفة عامة: هو "كلام العباد حكاه الله بمعناه لا بلفظه، فالعبارة القرآنية هي كلام الله والمعاني هي معاني كلام من حكاه عنه "[6]، وبهذا يتضح أن المقصود (بالإسرائيليات المحكية في القرآن) كمركب وصفي: مجموع المقالات اليهودية والنصرانية التي حكاها القرآن وكذبها، والتي سوف نستعرضها في بحثنا هذا إنشاء الله تعالى.

المبحث الأول

إسرائيليات في التطاول على الله

فقد حكى الله عن اليهود مقالتين[7] من هذه المقالات الإسرائيلية التي تتعلق بالتطاول على الله والقحة وسوء الأدب معه سبحانه وتعالى وذلك على سبيل المثال مؤصلاً بذلك لثقافة التطاول على الله لدى اليهود التي عرفوا بها بين الأمم والشعوب وتعج بها كتبهم المقدسة وغير المقدسة.

المقالة الأولى. قولهم: (يد الله مغلولة) أي أن الله بخيل.

وقد حكى الله هذه المقالة الإسرائيلية عن اليهود في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[8].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي وصفوا الله فيها بالبخل، مقالة القبح والفحش والزور والبهتان: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ). إنه تعبيرٌ حسّي عن البخل وتصويرٌ مادي له وكناية عنه[9] يزيد من بشاعة هذه المقالة وقبحها، حيث لم يكتفوا بوصف الله بالبخل وصفاً مجرداً؛ بل عمدوا إلى تصويره بأقبح صورة وأبشع تصوير بمن قيدت يده إلى عنقه فلا "يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف" [10] تجسيداً لصفة البخل التي وصفوا الله بها وترسيخاً لها في ذهن المخاطب وعقله ومبالغةً في التعريف بذلك البخل الذي وصفوا الله به ونسبوه إليه ومدى قبحه وبشاعته وتمكنه منه سبحانه وتعالى، وكأنهم يريدون أن يقولوا: إن الله – سبحانه وتعالى- بخيل بخلاً لا مثيل له. وهذا يدل على حقيقة إرادتهم وصدق رغبتهم وشدة حرصهم على إلصاق هذه الصفة بالله سبحانه وتعالى.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة:

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها عقب ذكرها مباشرة فقال:﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[11] وهو تكذيب فعليٌّ أتى في أربع صور متوالية، كل صورة منها أقوى في دلالتها على التكذيب من التي قبلها بشكل متصاعد وبطريقة دلالية مزدوجة في النفي والإثبات، نفي البخل عن الله وإثباته لليهود، ونفي الكرم عنهم وإثباته لله.

الصورة الأولى: (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ).

وهي القضاء على اليهود بالبخل وطبعهم به وختمهم بخاتمه ، أي : " خلق الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم " [12] كما قال الألوسي، وقال الواحدي : "جعلوا بخلاء وألزموا البخل"[13] ويقوي هذا المعنى كما يقول الشوكاني : " أن البخل قد لزم اليهود لزوم الظل للشمس فلا ترى يهودياً وإن كان ماله في غاية الكثرة إلا وهو من أبخل خلق الله "[14].

فهذا "ما وقع لهم"[15]، وصار حالهم وما زال وسيضل، وذلك على قاعدة (الجزاء من جنس العمل) وهو حقيقة واقعية قضى الله بها على اليهود، وقررها القرآن بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾[16] والنقير: الحفرة في ظهر النواة[17]، وهو كناية عن شدة البخل.

الصورة الثانية:(وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)، وهي الطرد والإبعاد من رحمة الله.

وهي أقوى في تكذيب تلك المقالة من الصورة الأولى:(غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ)، فإن إبعاد أصحاب تلك المقالة وطردهم من رحمة الله أقوى- بلاشك- في تكذيبها من القضاء على أصحابها بالبخل وطبعهم به وإن كانتا سواءً من حيث إنهما عقوبتان عاقب الله بهما اليهود على مقالتهم تلك.

الصورة الثالثة: (بل يداه مبسوطتان)، وهي بسط اليدين المنافي لغلهما، وهذه الصورة أبلغ وأقوى في تكذيب تلك المقالة من الصورة التي قبلها:(ولعنوا بما قالوا)، فإن التكذيب في هذه الصورة منطوق به في شكل صورة مغايرة لصورة المقالة، أما في الصورة التي قبلها فإن التكذيب مفهوم منها.

ومما لا شك فيه أن المنطوق أقوى دلالةً من المفهوم كما هو مقرر في أصول الفقه وقواعد الاستنباط[18].

ويزيد من تكذيب تلك المقالة في هذه الصورة تثنية اليد فيها في مقابل ورودها مفردة في المقالة، وذلك كما يقول النسفي: "ليكون رفض قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء [لله] ونفي البخل عنه، فغاية ما يبذله السخي أن يعطي بيديه"[19].

الصورة الرابعة: (يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)، وهي الإنفاق المنافي للإمساك والبخل، وهي أقوى في تكذيب تلك المقالة من التي قبلها: (بل يداه مبسوطتان).

فالأولى مصورة لطبيعة سخاء الله وعطائه المكذبة لمقالة وصفه بالبخل، والثانية مصرحة بسخائه وإنفاقه المكذب لتلك المقالة.

فالأولى مكنية عن التكذيب المفهوم من التكنية عن السخاء والعطاء في قوله: (بل يداه مبسوطتان).

والثانية مصرحة بالتكذيب المفهوم من التصريح بالإنفاق والسخاء في قوله: (ينفق كيف يشاء).

وما هو صريح في التكذيب أقوى- بلا شك – مما هو كناية عنه.

وهناك الكثير من الآيات التي تكذب هذه المقالة، وتؤكد سعة إنفاق الله وكرمه مثل قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[20].

المقالة الثانية. قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

وقد حكى الله هذه المقالة الإسرائيلية عن اليهود أيضاً في قوله : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ□﴾[21].

هذه هي المقا لة الإ سرائيلية ا لتي و صفوا الله في ها بالفقر: (إن الله ف قير و نحن أغن ياء).

إنها مقالة السوء والقبح والافتراء والبهتان، والمتأمل فيها يجد وراءها إرادة غريبة ورغبة عجيبة وإصراراً قوياً وحرصاً شديداً على إثبات هذه الصفة وإلصاقها به – سبحانه وتعالى- ويبدو ذلك من ناحيتين:

الأولى: من ناحية تأكيد هذه المقالة بـ (إنَّ)، وذلك لغاية يرجون بلوغها، وهدف يرومون تحقيقه وهو حمل الناس على تصديقهم فيما ذهبوا إليه من الافتراء على الله والإساءة إليه حيث لم يكتفوا بقصر هذا الافتراء والقحة وسوء الأدب مع الله وثقافة التطاول عليه والإساءة إليه على أنفسهم؛ بل راحوا يدعون غيرهم إلى اعتقادها والتصديق بها، وذلك من خلال تأكيد تلك المقالة، لأن الخبر لا يلقى مؤكداً إلا إذا كان المخاطب متردداً في الحكم أو منكراً له[22]. وفي هذا إشارة إلى رغبتهم في نشر هذه الثقافة وتعميمها على الأخرين، وهذا بدوره يدل على مدى رغبتهم وإصرارهم على إلصاق هذه الصفة بالله سبحانه وتعالى.

الثانية: من ناحية وصف أنفسهم بالغنى في مقابل وصف الله بالفقر على شكل مقارنة ومفاضلة مؤكدين بهذه المفاضلة فقر الله وغناهم، وذلك في إشارة إلى أنهم أفضل من الله، مما يزيد هذه المقالة الإسرائيلية قبحاً وبشاعة تجاوزت حدود البدهيات العقلية والمسلمات المنطقية المتعارف عليها بين جميع أبناء البشرية، وذلك في الموقف من الإله وإن كان صنماً لا يضر ولا ينفع، موقف التنزيه، والتقديس والإعظام والإجلال المجمع عليه في كل الأديان.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

ولهذا لم يرد الله عليها بالنفي وإثبات العكس كما فعل في المقالة السابقة (وصف الله بالبخل)، حيث قال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، وإنما رد عليها بطريقة أخرى تتناسب مع بشاعة مقام المنادَّة، وشناعة مقال المحادَّة المفهومين من تلك المفاضلة، رد عليها بتوعد أصحابها بالعذاب، وهو رد في غاية البلاغة والفصاحة والإبانة، فقد تضمن دحضاً لافترائهم، وتوضيحاً لمدى قبحه وبشاعته، وتبييناً للجزاء الذي يستحقه أصحابه، نافياً بذلك ما وصفوه به من الفقر، وما وصفوا به أنفسهم من الغنى، ومثبتاً الحول والطول له وحده، فقال عقب ذكره لتلك المقالة مباشرة : ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا

وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[23].

فهذا هو الرد على تلك الفرية (ذوقوا عذاب الحريق)، فقد تضمن على قصر عبارته وقلة كلماته كل ما ذكرنا من معانٍ ودلالات. فالتوعد بالعذاب ليس فقط دليلاً على افترائهم وإنما أيضاً على قبح تلك الفرية وشناعتها وبشاعتها، وبالتالي على تنزه الله عنها واتصافه بنقيضها.

وهناك الكثير من الآيات التي تؤكد غنى الله وفقر من سواه، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[24].

التطاول على الله لدى اليهود عقيدة وثقافة:

إن إرادة التطاول على الله ورغبة التجرؤ عليه ومشيئة الإساءة إليه التي انطوت عليها تلك المقالات، ووقفت وراءها وكشفتها طبيعة سياق الآيات التي وردت بها على النحو الذي أوضحناه لتدل على أن تلك المقالات التي قالها اليهود ليست مجرد مقالات عابرة زلت بها لسان أحدهم من غير قصد ولا إرادة، وإنما هي مقالات تمثل عقيدة أمة، وثقافة شعب استظهرها أحد أبنائها[25] المتشبعين بها عن سابق علم واعتقاد وقصدٍ وإصرار، ولهذا نسبها الله إليهم جميعاً فقال: (وقالت اليهود...) كما في المقالة الأولى، وقال في المقالة الثانية:(لقد سمع الله قول الذين قالوا...) بصيغة الجمع، ويدل على ذلك أمران: عدم إنكارهم له، ورضاهم به كما يقول أبو السعود عن المقالة الأولى (يد الله مغلولة) : "وحيث لم ينكر عليه الأخرون ورضوا به نسبت تلك (الفرية) العظيمة إلى الكل"[26]، ويقول الألوسي: "ولا يبعد من قوم قالوا لموسى - عليه السلام - (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)، وعبدوا العجل أن يعتقدوا اتصاف الله بالبخل ويقولوا ما قالوا، وقال أبو القاسم البلخي: يجوز أن يكون اليهود قالوا قولاً، واعتقدوا مذهباً يؤدي معناه إلى أن الله عز شأنه يبخل..."[27].

وكما يقول ابن عاشور عن المقالة الثانية (إن الله فقير ونحن أغنياء) مسبباً نسبة (قتل الأنبياء) إلى اليهود الذين قالوا هذه المقالة والذي يفيده عطف (قتل الأنبياء) على (ما قالوا) في قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ☐﴾، مع أنهم لم يقتلوهم وإنما قتلهم أسلافهم: " ليدل على أن هذه شنشنة[28] قديمة فيهم، وهي الاجتراء على الله ورسله"[29]، ويقول الطبري معللاً ذلك "كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته، فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته إلى جميعهم إذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة وبالرضى من جميعهم فعل ما فعل فاعلُ ذلك منهم"[30].

وبهذا يتضح أن التطاول على الله والتجرؤ عليه والإساءة إليه عقيدة يعتقدها اليهود، ودين يدينون به وثقافة ينتمون إليها. فالإله عند اليهود وفي كتبهم المقدسة على صورة الإنسان[31]، يصاب بالحمى وتصعد من رجليه[32]، ويبكي وتهطل دموعه في البحر[33]، ويصارع يعقوب ويُصرع، ويحارب ويهزم[34]، ويتصرف ويندم، ويحزن ويتأسف[35]. وهو وحش ضارٍ[36]، يسكن في الضباب[37] والأعاصير[38]، وفي جبل

صهيون وأورشليم[39]، ويركب ويطير وينزل على أجنحة الريح[40]، وينام ويستيقظ[41].
وهو خداع غشاش يضل الناس ويقسي قلوبهم[42]، ويضحك ويقهقه[43]، ويرقص مع حواء[44]، ويلعب مع ملك الأسماك[45]، ولوع بالخمر[46]،أكول نهوم[47].
وغير ذلك مما تشمئز منه نفوس الموحدين، ويندى له الجبين، وتقشعر منه جلود المؤمنين.

المبحث الثاني
إسرائيليات في عزير وعيسى

فقد حكى الله فيهما مقالتين إسرائيليتين ،إحداهما عن اليهود في عزير والأخرى عن النصارى في عيسى-عليه السلام-، وكلتاهما تنصبان في التطاول على الله والتجرؤ عليه والإساءة إليه.

المقالة الأولى . قول اليهود: (عزير ابن الله).

وقد حكى الله هذه المقالة عن اليهود في قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ...﴾[48].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي قالها اليهود في عزير، وصار عزير بها ابناً لله وندّاً له ومعبوداً من دونه[49]، ثم صارت عقيدة يهودية.

وبغض النظر عن الأسباب التي تقف وراء هذه المقالة على اختلاف الروايات التي أوردها المفسرون[50]، وعلاوة على أنها تجرؤ على الله وإساءة إليه فإنها تعد تعبيراً فاضحاً عن الروح العنصرية والنزعة الفوقية وغريزة التعالي التي تنطوي عليها نفوس اليهود، ويحسون بها تجاه الأخر، ويعتقدونها فيه، ويمارسونها ضده سراً وعلانية.

لقد أرادوا بهذه المقالة أن يقولوا للناس: لسنا مثلكم؛ بل نحن فوقكم وأفضل منكم، وهذا ما كان بالفعل.

فقد كانت هذه المقالة بمثابة المقدمة لذلك، وصارت فيما بعد عقيدة صدع بها اليهود وصاغوها في كثير من أقوالهم التي تحتويها كتبهم المقدسة وغير المقدسة. وقد ذكر القرآن- على سبيل المثال- بعضاً من هذه المقالات العنصرية التي تولدت عن هذه المقالة وترتبت عليها مثل قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[51] أي أن عنصرهم إلهي وليس إنسانياً، وأن نسبهم يتصل بالذات الإلهية، وأن ما سواهم من نسل البغال والحمير وبمثابة الكلاب والحيوانات، وإنما جعلوا في صورة بني آدم ليكونوا لائقين بخدمة اليهود[52]، كما سنبين ذلك في المبحث التالي إن شاء الله.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[53].

فقد أشارت الآية إلى تكذيب تلك المقالة من عدة وجوه:

الأول: من حيث بيان مدى قبح هذه المقالة ودرجة إساءتها إلى الله.

فقد بينت الآية أن هذه المقالة الإسرائيلية قد توغلت في الإساءة إلى الله إلى حد بعيد، وبلغت في القبح درجة أبعد، وذلك من خلال الإشارة إليها باسم الإشارة (ذلك) في قوله: (ذلك قولهم) فإن اللام فيه للبعد كما هو معلوم عند النحاة وغيرهم أي: أنها تدل على بعد المشار إليه سواء كان بعد مكان أو بعد مكانة، والمشار إليه هنا في الآية: المقالة (عزير ابن الله) والمقصود ببعدها الذي تدل عليه اللام: بعدها في درجة الإساءة إلى الله والتجرؤ عليه، يقول أبو السعود: "(ذلك) إشارة إلى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار إليه في الشناعة والفظاعة"[54]. في إشارة إلى كذب هذه المقالة.

الثاني: من حيث تفريغ المقالة من معناها التركيبي. المفهوم من قوله تعالى: ﴿ ذلك قولهم﴾ حيث اعتبر تلك المقالة المشار إليها مجرد قولٍ لا معنى له ولا فائدة، وإن كان القول يطلق- عند النحاة – "على ما هو مفيد من الكلام وغير مفيد.."[55]. إلا أنه هنا يتعين عدم فائدته للأسباب التالية:

1- لوقوعه في سياق الذم والرد على تلك المقالة وتكذيبها، ولا يتحقق ذلك إلا بحمله على عدم فائدته على التعيين.
2- لإسناده إلى الأفواه حيث قال: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، فإن ذكر الأفواه بعد القول ليس لبيان اختصاص الأفواه بالأقوال، بمعنى أن القول لا يكون إلا بالأفواه فإن ذلك معلوم[56]، ولا داعي لذكره ولا فائدة منه، فدل ذلك على أن المعنى المقصود من ذكر الأفواه بعد القول إنما هو بيان عدم فائدة ذلك القول وأنه يقف عند حدود الفم ولا يتجاوزه إلى خارجه، إذ لا مصداقية له في الخارج شأنه في ذلك شأن الألفاظ والحروف المهملة التي تتردد في الفم ولا معنى لها في الخارج[57].
3- لتواتر القرائن الحالية والمقالية الداحضة لتلك المقالة والدالة على كذبها.

الثالث: من حيث عدم واقعيتها.

وهذا أيضاً مما يفيده ذكر الأفواه بعد القول في قوله: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، فإن "المراد أنه قول لا يعدو الوجود في اللسان وليس له ما يحققه في الواقع، وهذا كناية عن كونه كاذباً"[58]، "وقال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر قولاً مقروناً بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولاً زوراً لقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[59]، وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِباً﴾[60]، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[61][62].

الرابع: من حيث خلفيتها الثقافية، وتبعيتها الدينية للكفار. والذي يشير إليها قوله تعالى: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾، فإن المضاهاة هي المشابهة كما يقول ابن عباس، والموافقة كما فسرها الحسن[63]، والمحاكاة كما أشار إليها الطبري[64].

ومعنى ﴿يضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ "أي يشابهون في قولهم هذا قول من تقدم من كفرتهم، أي

إنما قالوه اتباعاً لهم" قاله أبو إسحاق[65]، وقال الطبري : "معنى ذلك : يحاكون بقولهم أهل الأوثان الذين قالوا: (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) بنات الله" [66]، وفي هذا إشارة إلى الخلفية الثقافية للمقالة، والتبعية الدينية للكفار يوحي بها الفعل (يضاهئون) فإن فيه دلالةً على أن فاعل المضاهاة هم القائلون وليس القول، حيث نسب المضاهاة إليهم ولم ينسبها إلى القول فقال (يضاهئون)، ولم يقل (يضاهئ) وهذا يدل على أن المضاهاة مقصودة لذاتها، وأنها ناشئة عن خلفية ثقافية وعلم مسبق بمقالة الكفار التي قلدوها، وعلى تأثرهم بها وانتهاجهم لها، ومتابعة أصحابها عليها. وليست زلة لسانية عابرة، وفي هذا تكذيب صريح لتلك المقالة.

الخامسة: من حيث معاقبة أصحابها.

فقد عاقب الله أصحاب هذه المقالة بالإبعاد والطرد من رحمته، وهذا ما يشير إليه قوله في أخر الآية :﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، فإن المقصود بالقتل هنا (اللعن) قال ابن عباس: " قاتلهم الله لعنهم الله"[67]، واللعن: الطرد من رحمة الله، وفي هذا أبلغ ردٍ على كذب تلك المقالة، فإن معاقبة أصحابها على هذا النحو لا يدل – فقط- على كذبها وإنما أيضاً على قبحها وبشاعتها.

بالإضافة إلى قوله تعالى:﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ...﴾[68]الآية.

ففيه دلالة على أن عزيراً كان عبداً من عباد الله الصالحين، وليس ابناً لله، ولو كان ابناً لله ما مات لأن الله حي لا يموت، والابن من جنس أبيه.

المقالة الثانية. قول النصارى : (المسيح ابن الله).

وقد حكى الله هذه المقالة عن النصارى في قوله:﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[69].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي قالها النصارى في عيسى بن مريم، وصار بها عيسىعليه السلام ابناً لله ونداً له ومعبوداً من دونه[70]، ثم صارت عقيدة للنصارى حتى يومنا هذا.

وهي تلتقي مع المقالة السابقة في بعدها العنصري، فإن كلتا المقالتين تعكسان روح العنصرية لدى الفريقين.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة والتي قبلها ، وكذبهما على الفور عقب ذكرهما مباشرةً في الآية نفسها فقال : ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [71]

فهذا هو الرد على كلتا المقالتين: مقالة اليهود (عزير ابن الله)، ومقالة النصارى (المسيح ابن الله)، وقد سبق استعراضه في مقالة اليهود في عزير بما يغني عن إعادته هنا.

ووحدة الرد هذا على المقالتين يوحي بوحدة موضوعهما، وهما كذلك بالفعل، فإن كلتا المقالتين تتعلقان بموضوع واحد هو (البنوة لله)، وهذا يعني أنه لا فرق بينهما من حيث الموضوع، ولكن الفرق يبدو من حيث الدافع والباعث، فإنه إذا جاز الالتباس على النصارى في (عدم بنوة عيسى لله)، حيث ولد لأم من

غير أب فلا يجوز الالتباس على اليهود في (عدم بنوة عزير لله) فقد ولد من أب وأم وعاش بينهم حيث حتى صار من علمائهم وأحبارهم، ثم لسبب ما[72]، وبعد أن بلغ من العمر عتيا صيروه ابناً لله!!

وهذا يؤكد ما قلناه من أن الدافع لتلك المقالة التي قالها اليهود في عزير ليس الالتباس وإنما هو تبرير روح العنصرية والتعالي التي تنطوي عليها نفوسهم، ويحسون بها تجاه الآخرين إذ لا مبرر لذلك إلا أن يكون نسبهم متصلاً بالله، ولهذا قالوا: (عزير ابن الله)، فأوصلوا نسبهم بالله من طريقه، فبرروا بذلك عنصريتهم وقالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه وشعبه المختار).

ولشناعة هاتين المقالتين، فقد أفاض القرآن في تكذيبهما والرد عليها باعتبار وحدتهما الموضوعية في كثير من الآيات من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[73].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾[74].

وقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[75].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾[76].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً .أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً.إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ وغير ذلك من الآيات التي يطول تتبعها.

المبحث الثالث

إسرائيليات في العنصرية

فقد حكى الله فيها مقالة إسرائيلية مشتركة عن اليهود والنصارى، وهي قولهم: (نحن أبناء الله وأحباؤه). وقد حكى الله هذه المقالة في قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[77].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية العنصرية التي اشترك فيها اليهود والنصارى واجتمعوا عليها كما اجتمعوا واشتركوا في المقالة التي قبلها، مقالة (بنوة عزير وعيسى لله).

واجتماعهم هذا واشتراكهم في هاتين المقالتين يدل على أمرين:

الأول: وحدة العقيدة والطبيعة لكلا الفريقين.

أي وحدة العقيدة الشركية، والطبيعة العنصرية لليهود والنصارى.

الثاني: الوحدة الموضوعية لكلتا المقالتين.

فإن كلتيهما تصبان في موضوعٍ واحد هو (البنوة لله) ، بنوة (عزير وعيسى) كما في المقالة الأولى، وبنوة (اليهود والنصارى) كما في المقالة الثانية.

فالأولى هي الوسيلة، والثانية هي الغاية.

الأولى كانت بمثابة التبرير والتأصيل لعقيدتهم العنصرية التي أعربوا عنها في هذه المقالة، فقالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه). وقولهم هذا استظهارٌ استفزازي للعنصرية واستعراض لها في أعلا درجاتها وأبشع صورها حكاه الله على سبيل المثال لا الحصر تأصيلاً للعقيدة العنصرية عند اليهود وبياناً للمدى الذي وصلت إليه، وإلا فكتبهم المقدسة[78] وغيرها مليئة بالصور والمقالات العنصرية التي يندى لها جبين الإنسانية، وتشمئز منها النفوس الحية، وتمجها الطبائع البشرية، وتنفر منها الفطر السوية، من ذلك: قول الله لهم كما يزعمون: " أنا قلت: إنكم ألهة وبنو العلي كلكم" [79]. وقول الرباني مناشيم: "أنتم يا أبناء إسرائيل رجال، أما الأغيار [غير اليهود] فلا يمتون إلى الرجولة بنسب. نفوسكم متسلسلة من روح الله، أما نفوسهم فمنحدرة من الروح النجس" [80].

وفي التلمود : "إن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءً من الله، فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه" [81]. وفي سفر التثنية : "ولما كان الله قد حل فيهم، فهم شعب مقدس أفضل من جميع الشعوب، لأنك شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار إلهك لتكون شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" [82]. ويقول بولس حنا مسعد، يقول التلمود: "إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة، فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء، ولو لا اليهود لا متنعت البركة عن الأرض، وأنقطع المطر وانحجبت الشمس".

وأقبح مما ذكر تعليم التلمود الآتي:

"إن مدافن غير اليهود تثلج صدور أبناء إسرائيل، لأن اليهود وحدهم هم بشر، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات".

إن غير اليهود كلاب عند اليهود حسب تعليم التلمود المستند إلى الآية السادسة عشر من الفصل الثاني عشر، من سفر الخروج، فقد جاء فيها: " أن الأعياد المقدسة وضعت لإسرائيل وليس للأغراب الكلاب".

والرباني موسى بن نشمان ردد هذه الفكرة قائلاً: " لكم وليس للنجسين، لكم وليس للكلاب وضعت أعياد مقدسة". ويقول (وابر بانيل): "الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير" [83].

وغير ذلك مما يثير الاشمئزاز ويبعث على الغثيان، وما هذا إلا غيض من فيض.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

فبالإضافة إلى الرد السابق في نفي البنوة لله مطلقاً الذي استعرضناه في المقالة السابقة، فقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾[84].

فالآية قد تضمنت تكذيب هذه المقالة بطريقتين: الأولى: التكذيب بطريقة التلميح من خلال الاستفهام التقريري الذي يتعارض مضمونه مع دعوى (بنوتهم لله)، وذلك في قوله تعالى: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾

؟، فإن مضمون هذا الاستفهام هو إقرار اليهود والنصارى بأن الله يعذبهم بذنوبهم، فكيف يكونون أبناءه وأحباءه ؟! فإن هذا يتعارض مع دعوى أنهم أبناء الله وأحباؤه " لأن الابن من جنس أبيه، لا يصدر عنه ما يستحيل على الأب وهم يذنبون، والحبيب لا يعذب حبيبه وهم يعذبون، فهذا يدل على أنهم كاذبون في هذه الدعوى"[85].

الثانية: بطريقة التصريح. بنفي بنوتهم لله المستفاد من معنى الإضراب في (بل)[86]، وبالتصريح بأنهم بشر كغيرهم من الخلق، في إشارة إلى أنهم ليسوا أبناء الله، وأنهم كاذبون في هذه الدعوى، وذلك في قوله تعالى: (بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء). وبهذا التصريح تكون هذه المقالة العنصرية قد نسفت من أساسها وسقطت على أم رأسها وانقطعت أنفاسها. بالإضافة إلى الآيات السابقة التي أوردناها في أخر المقالة الثانية في المبحث الثاني في نفي (البنوة لله)[87].

المبحث الرابع

إسرائيليات في الموقف من الأخر

فقد حكى الله عن اليهود والنصارى مقالة مشتركة من مقالاتهم التي تتعلق بمبدأ التعايش مع الآخر ومنهج التعامل معه والموقف منه، وهي قولهم: (ليس علينا في الأميين سبيل). أي لا إثم علينا فيما نفعله بالآخرين ولا مؤاخذة.

وقد حكاها الله عنهم في قوله: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[88]

والمقصود (بأهل الكتاب): اليهود والنصارى، فهو لفظ مشترك يتناولهما ويطلق عليهما، ويدل على ذلك ما روي عن عكرمة في تفسير الآية أنه قال: " المأمونون على الكثير[وهو القنطار] النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة، والخائنون في القليل [وهو الدينار] اليهود إذا الغالب عليهم الخيانة"[89].

والمقصود بالأميين هنا: العرب[90]، وبقوله سبيل: أي عتاب وذم[91]، وحرج[92]، وإثم[93]، ومؤاخذة[94].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي أجملت موقف اليهود والنصارى من الأخر بكل مكوناته، ولخصت منهجهم في التعامل معه: (ليس علينا الأميين سبيل).

إنه موقف استباحة ومنهج استحلال شامل لكل ما يملكه الأخر من مقومات ومكونات إنسانية وثقافية واقتصادية وجغرافية واجتماعية وأخلاقية. يقول سيد قطب رحمة الله: "هذه بالذات صفة يهود، فهم الذين يقولون هذا القول، ويجعلون للأخلاق مقاييس متعددة، فالأمانة بين اليهودي واليهودي، أما غير اليهودي، ويسمونهم (الأميين)، وكانوا يعنون بهم العرب، فلا حرج على اليهودي في أكل أموالهم وغشهم وخداعهم والتدليس عليهم واستغلالهم بلا تحرجٍ من وسيلة خسيسة ولا فعل ذميم. ومن العجب أن يزعموا أن إلههم ودينهم أمرهم بهذا وهم يعلمون أن هذا كذب وأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا يبيح

لجماعة من الناس أن يأكلوا أموال جماعة من الناس سحتاً وبهتاناً، ولا يرعوا معهم عهداً ولا ذمة، وأن ينالوا منهم بلا تحرج ولا تذمم، ولكنها يهود التي اتخذت من عداوة البشرية والحقد عليها ديناً وديدنًا "[95]، وهذه نتيجة طبيعية لتلك العقيدة العنصرية، فماذا ينتظر المجتمع الإنساني، وماذا يتوقع من شعب يعتقد أفراده أنهم أبناء الله لا يمتون للإنسانية بصلة، ولا تربطهم بهم رابطة، فهم – كما يزعمون- من عنصر إلهي علوي، وغيرهم من عنصر إنساني ؛ بل حيواني سفلي؟

لا شيء ينتظر منهم غير ذلك، فقد "روي أنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وجميع ما في الأرض ملك لأبينا وأولاد السيد يتصرفون في ملك أبيهم، وقيل إنهم قالوا: المال لنا وظلمنا فيه العرب، وقيل إنهم قالوا: إن الله أباح لنا مال من خالفنا ديننا وادعوا أن ذلك في التوراة "[96]. هذه الاستباحة عقيدة دينية وهوية ثقافية. إن هذه الاستباحة الشاملة للأخر ليست سلوكاً شاذاً أو موقفاً عارضاً لفرد من الأفراد أو جماعة من الجماعات أو جيل من الأجيال في عصر من العصور أو مرحلة من المراحل ؛ بل هي دين تدين به اليهود والنصارى وتأمر به كتبهم المقدسة ويحث عليه رجال الدين، وتتربى عليه الأجيال المتعاقبة، وتتميز به هويتهم الثقافية.

- فهذا عزرا يخاطبه إلههم قائلاً : "اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك، تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزف تكسرهم"[97].
- وتصرح التوراة بإعطائهم الحق في تملك ثروات البشر وهدم دولهم فتقول: "أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تسمون خدّام إلهنا، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمرون"[98].
- ويقول التلمود: "إن الله أعطى اليهود كل قوة على خيرات الأمم ودمائهم... سيغضب الله على أبناء نوح [ما سوى اليهود]، ويسلم جميع ممتلكاتهم الى اليهود"[99].
- وفي سفر يشوع يأمرهم إلههم بحرق المدن بأهلها بالنار، فيقول: "ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار، وكقول الرب تفعلون. أنظروا فقد أوصيتكم... وأحرقوا المدينة بالنار... واضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت"[100].
- وفي سفر التثنية يعتبر حرق الأخر وإبادته بالنار إبادة كاملة (قربة) يشترطها إلههم لنزول رحمته بهم وعطائه لهم وزوال غضبه عنهم فيقول: " فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحمها [أي تبيدها] بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك. فتكون تلاّ إلى الأبد لا تبنى بعد... لكي يرجع الرب عن حمو غضبه، ويعطيك رحمة، يرحمك ويكثرك كما حلف لأبائك"[101].

- وفي سفر التثنية أيضاً الربا حرام لا يجوز لليهودي أن يأخذه ولكن من يهودي مثله، أما الأجنبي فلا يقرض إلا بالربا حيث يقول: " لا تفرض أخاك برباً في فضة أو طعام أو شيء أخر مما يقرض بالربا؛ بل الأجنبي إياه تقرض بالربا، وأخاك لا تقرضه بالربا"[102].
- وفي التوراة الزنا محرم، ولكن مع اليهودية، أما مع امرأة أجنبية فمباح " قال موسى: لا تشته امرأة قريبك، ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت"[103].
- غير أن التلمود يحلله مع الأغراب، فيقول: "إن الزنا الذي يعنيه موسى هنا هو الذي يتم بين يهودي ويهودية، أما مضاجعة يهودي لغير يهودية فليس هو المعنى قطعاً"[104][105].

ولهذا نرى اليهود والنصارى عبر التاريخ ضالعين في هذه الاستباحة الشاملة للأخر، وهذا ليس تحاملاً عليهم لا مبرر له؛ بل هو واقع نعيشه نحن العرب والمسلمين ومعنا الإنسانية عامة، ونحترق بنيرانه كل يوم في شتى بلداننا: في العراق، وفلسطين وهما الشاهد القديم الجديد على هذه الاستباحة (اليهو نصرانية، والصهيوصليبية)، وإحدى الصور التطبيقية الحية لها، بالإضافة إلى الصومال والسودان وأفغانستان.. وغيرها.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة الاستباحية وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة، وبلفظ الكذب صراحة فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. بَلَى...﴾ [106].

فهذا تكذيب صريح لهذه المقالة الهمجية يؤكده ما روي عن سعيد بن جبير أنه قال: لما قال أهل الكتاب: (ليس علينا في الأميين سبيل) قال النبي ﷺ : "كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر"[107].

وقد أكد الله هذا التكذيب الصريح لهذه المقالة بأمرين:

الأول: بقوله: (وهم يعلمون)، فقوله هذا عقب قوله: (ويقولون على الله الكذب) زيادة في تأكيد كذب هذه المقالة، فإنه يدل على تعمدهم لذلك الكذب لسبق علمهم به، فقد كذبوا مع علمهم المسبق بأنهم كاذبون، وفي هذا إشارة أيضاً إلى بجاحة هذه الفرية ووقاحة أصحابها.

الثاني: بقوله : (بلى)، فإنه "إضراب إبطالي"[108] لما قبله وهو قولهم: (ليس علينا في الأميين سبيل)، و "إيجاب لما نفوه، والمعنى: بلى عليهم في الأميين سبيل"[109].

وهناك كثير من الآيات التي تكذب هذه المقالة سواء كانت خطاباً خاصّاً بهم أم خطاباً عامّاً، فمن الأول. قوله تعالى:﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[110].

وقوله تعالى:﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً . وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[111].

ومن الثاني. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[112].

وقوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[113].

وقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[114].

بالإضافة إلى أن كل الشرائع السماوية والإنسانية بما فيها الإسلام تجمع على تكذيب هذه المقالة الشنيعة، وتحرم استباحة حقوق الإنسان أيّاً كان بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه.

المبحث الخامس

إسرائيليات في اليهودية والنصرنية

فقد حكى الله فيهما مقالتين إسرائيليتين مشتركتين عن اليهود والنصارى:

المقالة الأولى: في قصر الهداية عليهما. أي على اليهودية والنصرانية حيث قالوا مخاطبين محمداً ﷺ وأصحابه[115]: (كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا).

وقد حكى الله هذه المقالة في قوله: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾[116].

وقولهم هذا "ليس مقولاً لكلهم أو لأي طائفة كانت من الطائفتين؛ بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنياً عن التصريح به، أي قالت اليهود: كونوا هوداً وقالت النصارى: كونوا نصارى..." [117]، لأن (أو) " للتنويع والمعنى: مقالتهم أحد هذين القولين: قالت اليهود كونوا هوداً، وقالت النصارى كونوا نصارى"[118]، "فدعت كل فرقة إلى ما هي عليه"[119].

ولوحدة الملتين[120] وهدف المقالتين[121] جمع الله بينهما واعتبرهما كالمقالة الواحدة، إذا صحت إحداهما صحت الآخرى، وإذا تحققت التبعية لأحد الفريقين تحققت للفريق الأخر فقال: (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية المشتركة التي ادعت اليهود والنصارى فيها "أن الهداية بيدها والخير مقصورٌ عليها"[122]، والتي بها " حصروا الهدى في اليهودية والنصرانية، أي كل فريق حصر الهدى في دينه. ووجه الحصر حاصل من جزم (تهتدوا) في جواب الأمر فإنه على تقدير شرط، فيفيد مفهوم الشرط أن من لم يكن يهودياً لا يراه اليهود مهتدياً، ومن لم يكن نصرانياً لا يراه النصارى مهتديا"[123].

وفي هذا القصر والحصر للهداية : على اليهودية والنصرانية تصريحٌ بأن ما سوى اليهود والنصارى على باطل وفي ظلال[124]، وهذا كما يقول أبو السعود: "فنٌّ أخر من فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم إثر ضلالهم في أنفسهم"[125]، ونوع من أنواع الإرهاب الفكري[126] الذي ما فتئوا يمارسونه قديماً وحديثاً ضد الأخر ضمن حرب شاملة تشنها (اليهونصرانية) و(الصهيوصليبية) على الإسلام والمسلمين بهدف الصد عن الإسلام والتصدي له وإيقاف زحفه المتنامي في العالم الذي يشهد إقبالاً متزايداً على الإسلام وتزايداً مطرداً في أعداد الداخلين فيه، تؤكده الدراسات والإحصائيات التي ترصد حركة الإسلام في العالم[127]، كما يهدف إلى صرف المسلمين عن دينهم بتشكيكهم فيه، ونزع ثقتهم به من خلال الشبهات والتشويهات، "

فقد كانت [أي اليهود] تقف بالمرصاد لكل دعوة جديدة... ثم اتجهت العداوة اليهودية الصليبية المشتركة بكل عنفها وضراوتها إلى لإسلام، فقامت أوربا الصليبية- تغذيها الصهيونية وتنفخ فيها وتؤازرها- تستعمر العالم الإسلامي وتخضعه لنفوذها وتحاول اقتلاع الإسلام من جذوره: بالتبشير، وبتشويه صورة الإسلام في نفوس المسلمين تارة، وإفساد الأخلاق تارة أخرى، وأخرى بتربية جيل من العبيد النافرين من الإسلام تسلمه مقاليد السلطة في البلاد الإسلامية ليقوموا بدلاً منها بالقضاء على الإسلام"[128]. وهذا ما يفعلونه اليوم بكل وحشية وهمجية وحقدٍ وكراهية تحت شعار العولمة، وذريعة الحرب على الإرهاب وهي حرب تشنها (الصهيوصليبية) من أجل عولمة الثقافة (اليهونصرانية) وجعلها ثقافة العالم ودينه، والقضاء على ما سواها من الثقافات والأديان الأخرى، وهو ما صرح به الحاخام الإسرائيلي في حفل أقيم بمناسبة وضع الحجر الأساسي لأكبر محفل ماسوني في العالم في فلسطين، حيث قال مخاطباً اليهود: "إننا جميعاً نعمل من أجل هدف واحد، هو العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على هذه الأرض وما عدا ذلك فهي أديان باطلة..." [129] وهذا ما يؤكده قوله تعالى :﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[130]، وقوله تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[131].

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة:

وقد رد الله على هذه المقالة الإسرائيلية وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فإن آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فإنَمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[132].

فالآيات قد أمعنت في تكذيب هذه المقالة الزائفة الخادعة لما فيها من التجني على الحق والحقيقة، والإساءة إلى الإنسان من حيث تعمد تضليله وغوايته، وأثبتت زيفها وكذبها من عدة وجوه:

الوجه الأول: نفي الهداية المزعومة لليهودية والنصرانية الذي يفيده معنى الإضراب في (بل) وذلك لسببين سبب الله بهما هذا الإضراب:

أحدهما. أنهما أي اليهودية والنصرانية مخالفتان لملة إبراهيم الحنيفية التي أمروا باتباعها .

ثانيهما. أنهما نحلتان شركيتان.

والهداية إنما تكون في دين التوحيد دين إبراهيم الذي دعت إليه كل الأنبياء[133]، ولهذا دُعُوا مرة أخرى على لسان محمد ﷺ إلى العودة من جديد إلى دين إبراهيم وجميع الأنبياء حتى محمد ﷺ وترك ما هم عليه من الشرك والضلال فقال : ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[134].

الوجه الثاني: تلقينهم دين الهداية الأوحد، دين كل الأنبياء المغاير لما هم عليه من اليهودية والنصرانية كما أرادواهم تلقين المؤمنين هداية دينهم المزعومة وذلك من باب المحاكاة لهم في منطقهم والمسايرة لهم في أسلوبهم والرد عليهم بطريقتهم، فقال: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[135]، وذلك في مقابل قولهم: (كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا)، فإنه على معنى: قولوا إنا يهود أو نصارى تهتدوا.

الوجه الثالث: حصر الهداية في الإسلام ونفيها عن غيره حيث بين لهم – مؤكداً كذب تلك المقالة- أن السبيل الوحيد إلى الهداية هو الإيمان بالله ورسله وما أنزل عليهم جميعاً بما فهيم خاتمهم محمد ﷺ من غير تفريق بين أحد منهم إن هم أرادوا الهداية، وكانوا من طلابها والحريصين عليها، وإلا فإنهم كذبة وزعمة وأدعياء وأعداء ومحاربون للإسلام والمسلمين ومخالفون لهم، فقال: ﴿فإن آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فإنَمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[136].

المقالة الثانية: في تبعية إبراهيم وجميع أنبيائهم- عليهم السلام- لهما. أي لليهودية والنصرانية، حيث قالوا: (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى).

وقد حكى الله هذه المقالة في قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾[137].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية المشتركة التي زعم فيها اليهود أن إبراهيم ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام كانوا يهوداً، وزعم النصارى أنهم كانوا نصارى، وفيها ما في المقالة السابقة من الكذب وتزييف الحقائق ومخادعة الناس وتضليلهم، ومحاربة أديانهم، فإن كلتا المقالتين تتعلقان بالترويج لليهودية والنصرانية والدعاية للقبول بهما والإقبال عليهما.

- ففي المقالة الأولى كانت وسيلتهم إلى ذلك (الهداية)، حيث حصروها وقصروها عليهما.
- وفي هذه المقالة كان إبراهيم و من بعده من أنبيائهم – عليهم السلام – هم الوسيلة إلى ذلك ، حيث عدوهم من أتباعهما.

وهنا يتساءل المرء مستغرباً، لماذا هذا التنازع بين اليهود والنصارى في إثبات صحة دينهم: مرة بقصر كل فريق الهداية على دينه، ومرة أخرى بادعاء كل فريق أن إبراهيم ومن بعده من الأنبياء – عليهم السلام- كانوا من أتباع دينه. بينما الحقيقة أنهم جميعاً على باطل، وهذا ما قاله بعضهم لبعض، وتبادلوا الاتهام به، وسجله القرآن وحكاه الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾[138].؟! والجواب:

أولاً: لعلمهم اليقيني المسبق بأنهم على باطل كما دلت على ذلك الآية الأنفة الذكر التي حكاها الله عنهم، ولهذا أخذوا يبحثون عن رموز ومعان من رموز الحق ومعانيه ينسبونها إلى مللهم، ويخفون وراءها باطلهم كعادة أهل الباطل في كل زمان وفي كل مكان، وهذا – بالفعل- ما كان منهم وحكاه الله عنهم في قوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[139]، وقوله: ﴿ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ

بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[140].

ثانياً: لتحقيق جملة من الأهداف منها:

1- إبهام الآخرين بصدق أديانهم وصحتها. فليس هناك من وسيلة لتحقيق هذا الهدف أفضل من نسبتها إلى إبراهيم ومن بعده من الأنبياء، والزعم بأنها كانت دينهم جميعاً.

2- الترويج للقبول بها والإقبال عليها وإقناع الآخرين باعتناقها، فإن مجرد ذكر إبراهيم ومن بعده من الأنبياء كأتباع لها يكفي – كما يظنون – لتحقيق هذا الهدف.

3- محاربة الإسلام وصد الناس عنه وقطع الطريق عليهم للوصول إليه، وحرمانهم من التعرف عليه لعلمهم المسبق بأنه الدين الحق دين إبراهيم وجميع الأنبياء، الدين الذي ارتضاه الله للناس وبعث به محمداً ﷺ، وذلك خوفاً على أديانهم من الانكماش والانحسار والتلاشي والاندثار أمام انتشار الإسلام وزحفه المتنامي، والذي يزداد مع مرور الوقت انتشاراً ويزداد الناس عليه إقبالاً.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة:

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة، فقال: ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[141].

فقوله: (أأنتم أعلم أم الله) "فيه تقريع وتوبيخ"[142] يدل عليه الاستفهام، ويفيد تكذيب تلك المقالة وإنكارها، إذ كيف يقولون: إن إبراهيم ومن بعده من الأنبياء كانوا يهوداً أو نصارى[143]، فإن هذا -علاوة على أنه تعالم على الله- إخبار بالباطل يتعارض مع إخبار الله وعلمه إذ الأصل في علم الإنسان أن يكون تبعاً لعلم الله ومستمداً منه وراجعاً إليه، كما قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[144]، وكما قالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[145]، وقال يوسف-عليه السلام-: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾[146].

ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى بطلان زعمهم هذا وكذبه بأنهم كانوا على علم بأن إبراهيم ومن بعده من الأنبياء – عليهم السلام- كانوا مسلمين ولم يكونوا يهوداً ولا نصارى، ولكنهم كتموا ذلك، كما قال الحسن البصري: "كانوا يقرأون في كتاب الله الذي أتاهم إن الدين الإسلام، وإن محمداً رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا براء من اليهودية والنصرانية، فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك"[147]، فعده الله أعظم أنواع الظلم، وعد أصحابه أعظم الناس ظلماً فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، أي لا أحد أظلم منه.

ولشناعة هذا السلوك وبشاعته وخسته ودناءته توعدهم الله بالعقاب فقال: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أي أنه يعلم عملكم هذا وسوف يجازيكم عليه، في إشارة إلى كذب تلك المقالة.

وهناك الكثير من الآيات التي تثبت تبعية إبراهيم وجميع الأنبياء للإسلام، وتنفي عنهم التبعية المزعومة لليهودية والنصرانية، من ذلك: قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[148]. ففي هذه الآية ينفي الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم التبعية لليهودية والنصرانية، ويثبت له التبعية للإسلام، وتتسع مساحة هاتين الدائرتين، دائرة النفي، ودائرة الإثبات في سورة البقرة لتشمل إسماعيل وإسحاق ويعقوب إلى جانب إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[149]. ثم تزداد مساحة الدائرتين اتساعاً في نفس السورة لتشمل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وجميع الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[150].

فالإسلام ملة إبراهيم ومن بعده ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾[151] دين الحق والرشد والهداية، أما اليهودية والنصرانية فدين الشرك والضلال والغواية[152].

المبحث السادس

إسرائيليات في اليوم الأخر

فقد حكى الله فيه ثلاث مقالات، إحداها مشتركة عن اليهود والنصارى، والأخريتان عن اليهود:

المقالة الأولى. قول اليهود:(سيغفر لنا).

أي أن ذنوبهم مغفورة مهما كانت كما يعتقدون[153].

وقد حكى الله عنهم هذه المقالة في قوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾[154].

فالمقصود بالخلف: اليهود، وبالكتاب التوراة ، ويدل على ذلك سياق الآية فقد وردت في سياق الحديث عن اليهود[155].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي زعم فيها اليهود أن ذنوبهم مغفورة وإن بلغت عنان السماء: (سيغفر لنا).

إن قولهم هذا يعد إحدى تداعيات العنصرية، وتصب في الموقف من الأخر الذي تولد عنها كما سبق الحديث عنهما[156].

فإن العنصرية حملتهم على الاعتقاد بأن ذنوبهم مغفورة، لأنهم ماداموا أبناء الله وأحباءه فإن الله لا يملك إلا أن يغفر لهم وأن يسامحهم على ما كان منهم مهما ارتكبوا من المعاصي، ومهما اقترفوا من الآثام وإن أصروا على ذلك ولم يتوبوا كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿وان يأتيهم عرض مثله يأخذوه﴾، لأن " شأن الحبيب أن لا يعذب حبيبه"[157]، وهذا الاعتقاد بدوره حملهم على التمادي والاستمرار في استباحة الأخر استباحة شاملة على النحو الذي أوضحناه[158]، والذي نشاهده يومياً على مسرح الحياة[159].

أضف إلى ذلك أنه يعكس حالة اليأس والقنوط من المغفرة والفوز بالآخرة التي أصابتهم نتيجة لهذه

الاستباحة، والتي أخبرنا الله بها في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾[160]، أي: قد يئسوا "من ثواب الأخرة ونعيمها[161]"، فهم " لا يؤمنون بها ولا يرجونها"[162].

إن هذا اليأس هو الذي حملهم على قولهم هذا : (سيغفر لنا) وغيره من الأقاويل التي أخذوا يعللون بها أنفسهم[163] كنوع من العلاج النفسي لهذه الحالة النفسية المدمرة التي تستبد بهم، وتقض مضاجعهم، وتحرمهم من لذة العيش ومتعة الحياة، وتقطع أملهم في النجاة، وذلك لئلا يحرموا- على الأقل – من التمتع في هذه الحياة مع يقينهم أن لاخلاق لهم في الآخرة.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال :﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[164].

"أي أخذ عليهم العهد في التوراة ألا يقولوا على الله الباطل وهي تمني المغفرة مع الإصرار، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار"[165].

فتقريرهم بأخذ العهد عليهم في التوراة بألا يقولوا على الله إلا الحق على سبيل التوبيخ والإنكار الذي يفيده الاستفهام في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ ﴾ بعد قولهم (سيغفر لنا) يفيد أن قولهم هذا قول على الله بالباطل، ويدل على كذب هذه المقالة وافترائها على الله إذ " ليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار"[166]، وإنما فيها " أن من ارتكب ذنباً عظيماً فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة"[167].

ولهذا جاء الإسلام مؤكداً أن المغفرة هبة من الله مرتبطة بمشيئته، وليست واجبة عليه:﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[168]، كما قال عيسى عليه السلام:﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[169].

هذا بعد الترك والإقلاع والندم وطلب المغفرة كشرط لحصولها قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾[170]، وقال تعالى:﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾[171]، وقال تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم"[172].

وكذلك التوبة، فإنما يتوب الله على من تاب إليه قال تعالى:﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حكيماً﴾[173]، أما المصرون على الذنوب غير التائبين من قريب قبل بلوغ الروح الحلقوم فلا توبة لهم قال تعالى:﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[174]. ولهذا أمر الله بالتوبة فقال : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾[175]، وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾[176].

هذا بالإضافة إلى كم الآيات التي تدل على المؤاخذة بالذنوب والمعاقبة على المعاصي، والتي سبق استعراض بعضها في المبحث الرابع في معرض الرد على المقالة المعبرة عن موقف اليهود والنصارى من الأخر ومبدأ التعايش معه والتي تنفي ادعاءهم مغفرة ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم عليها، وتثبت العكس[177]، وفي العودة غنى عن الإعادة.

المقالة الثانية: في قصر دخول الجنة على اليهود والنصارى، حيث قالوا: (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى). وقد حكى الله عنهم هذه المقالة في قوله: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾[178]. وقولهم هذا ليس مقولاً لهم كلهم ولا لأي فريق منهم؛ بل كل فريق زعم ذلك الزعم على سبيل الاختصاص، أي: كل فريق اختص نفسه به دون الآخر فـ "قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين هذين القولين وجعلا مقولاً واحداً، اختصاراً وثقة بفهم السامع أن ليس المقصد أن كل واحد من الفريقين يقول هذه القول المردد، وللعلم بتضليل كل واحد منهما صاحبه[179]؛ بل المقصود تقسيم القول المذكور بالنسبة إليهم، فكلمة (أو) كما في مغني اللبيب[180] للتفصيل والتقسيم لا للترديد"[181].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية المشتركة التي زعم فيها كل من اليهود والنصارى على حدة أن الجنة حق لهم لا يدخلها سواهم.

وفي هذا القصر لدخول الجنة على اليهود والنصارى دلالتان:

الأولى: تكريس تلك الروح العنصرية التي تستحوذ عليهم وتسيطر على حياتهم والتي شاهدناها في مقالات سابقة، وتبرز هنا في هذه المقالة في شكل أنانية مفرطة، تنعكس- بلا شك – على الأخر كراهية وعدوانية مطلقة فتستأثر بالخير وتمنعه عن الغير قال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[182].

فاليهود والنصارى معروفون سلوكياً بين شعوب العالم بأنهم "أنانيون طماعون يريدون أن يجعلوا كل النعم موقوفة عليهم، وكل الخير محتكراً فيهم، حتى الجنة التي أعدها لعباده المؤمنين المتقين لم تسلم من [أنانيتهم] واحتكارهم، لقد جعلوها وقفاً [عليهم] ومنعوا الآخرين منها، وحرموهم دخولها"[183]، وقالوا: (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المدى الذي وصلت إليه تلك العنصرية ومدى تحكمها فيهم وتمكنها منهم، حيث صارت شرطاً لدخول الجنة وقاعدة لاستحقاقها، فلا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً وإن كان من أشقى الأشقياء، أما من كان عنصره غير يهودي وغير نصراني فلن يدخلها وإن كان من أتقى الأتقياء.

الثانية: أنه يعد صورة من صور الإرهاب الفكري وطريقة من طرق محاربة الأديان والثقافات التي تمارسها (اليهونصرانية) ضد الأخر، وتتمثل في التهديد بسوء الخاتمة والمصير أو بدخول النار لمن لم يعتنق اليهودية أو

النصرانية، وذلك بهدف تقويض ما سواهما من الأديان والثقافات الأخرى، لأن قولهم: (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) يوحي بصحة أديانهم وبطلان الأديان الأخرى، وهذا من شأنه أن يزعزع إيمان أتباع تلك الأديان بأديانهم، وأن ينزع ثقتهم بها، وأن يحملهم في نهاية المطاف- كما يظنون- على مفارقة أديانهم وترك ثقافتهم واعتناق اليهودية أو النصرانية وإحلالها محلها، وهو ما تعمل له (اليهونصرانية)، و(الصهيوصليبية)، وتسعى إلى تحقيقه ليل نهار تحت شعارات مختلفة[184].

رد القرآن وتكذيبه لهذه لمقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[185].

فقد تضمنت الآيتان تكذيب هذه المقالة من عدة وجوه:

الأول: تكذيبها من ناحية اعتبارها مجرد أماني وأحلام " يتمنونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان ولا يقين علمٍ بصحة ما يدعون، ولكن بادعاء الأباطيل وأماني النفوس الكاذبة"[186]، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فتحداهم أن يقيموا الدليل والبرهان على مصداقيتها، إذ الدليل منعدم والبرهان ممتنع، فدل ذلك على كذب هذه المقالة.

الثاني: تكذيبها من ناحية إثبات ما تضمنته من نفي دخول غير اليهود والنصارى الجنة وهو ما يفيده معنى الإضراب في (بلى)[187] الذي عقب الله به على تلك المقالة فقال: (بلى) أي بلى سيدخلها غيركم.

الثالث: تكذيبها من ناحية تقرير قاعدة استحقاق دخول الجنة على أساس العمل الصالح، وليس على أساس الانتماء العنصري كما زعموا، فقد أخذ الله سبحانه وتعالى يبين قاعدة الاستحقاق الشرعية الإلهية العادلة لدخول الجنة على أثر ذلك الادعاء مبيناً كذبه، وموضحاً زيفه، ومثبتاً فساده وبطلانه، فقال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[188].وبهذا يقرر الله سبحانه وتعالى "قاعدة من قواعد التصور الإسلامي في ترتيب الجزاء على العمل بلا محاباة لأمة ولا لطائفة ولا لفرد. إنما هو الإسلام والإحسان، لا الاسم والعنوان"[189].

وما أكثر الآيات التي تؤكد هذه القاعدة في استحقاق دخول الجنة، وتثبت معيارية العمل الصالح لاستحقاقها، وتكشف زيف تلك المقالة وكذبها، من ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[190].

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[191].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[192]. وغير ذلك من الآيات التي يطول تتبعها.

المقالة الثالثة. قول اليهود: (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة).

أي أنهم غير مخلدين ولا ماكثين فيها مدة طويلة مهما ارتكبوا من الجرائم ومهما اقترفوا من الآثام وإن كانت مما تخلد صاحبها في النار أو البقاء فيها مدة طويلة.

وقد حكى الله عنهم هذه المقالة في موضعين من القرآن:

الأول: في سورة البقرة في قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾[193].

الثاني: في سورة آل عمران في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[194].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي زعم فيها اليهود أنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً معدودات أو مدة قصيرة لا تتجاوز (سبعة أيام أو أربعين يوماً) على اختلاف الروايات[195]، ثم يخرجون بعدها إلى الجنة كما يعتقدون. والحقيقة أن هذا الزعم أمنية أخرى من أماني اليهود "التي لا تستقيم مع عدل الله، ولا تتفق مع سنته، ولا تتمشى مع التصور الصحيح للعمل والجزاء... أن يحسبوا أنهم ناجون من العذاب مهما فعلوا، وأن النار لن تسمهم إلا أياماً معدودات يخرجون بعدها إلى النعيم... علام يعتمدون في هذه الأمنية؟ علام يحددون الوقت كأنهم مستوثقون؟ وكأنها معاهدة محدودة الأجل معلومة الميثاق؟ لا شيء إلا الأماني التي يلجأ إليها المنحرفون عن العقيدة الصحيحة، حيث يطول بهم الأمد، وينقطع ما بينهم وبين حقيقة دينهم، فلا يبقى لهم منه إلا اسمه وشكله، دون موضوعه وحقيقته ويظنون أن هذا يكفيهم للنجاة من العذاب بحكم ما يعلنونه بألسنتهم من أنهم على دين الله "[196]، (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة).

إن هذا الاعتقاد الأمنياتي يصب في دائرة تداعيات تلك العقيدة العنصرية[197] : (نحن أبناء الله وأحباؤه) .. هذه العقيدة التي بنى عليها اليهود والنصارى جميع تصوراتهم عن الله والإنسان والكون والحياة كما رأينا ذلك في مقالاتهم السابقة المتعلقة بالتطاول على الله والموقف من الأخر وغيرها..فالعنصرية هي التي حملتهم على قولهم هذا كما حملتهم على القول بغفران ذنوبهم وبدخول الجنة دون سواهم، وغير ذلك من الأقاويل التي تتعارض مع العقل السليم والمنطق القويم. كما يعكس في الوقت ذاته الحالة النفسية لأصحاب هذه المقالات، حالة اليأس من النجاة، واليقين بالهلاك التي ألجأتهم إلى مثل هذه الأقاويل والمعتقدات كنوع من العلاج النفسي لنفسية حطمها اليأس من دخول الجنة، ودمرها اليقين بدخول النار الذي يشير إليه قوله تعالى، وهو الأعلم بنفوسهم ونفسياتهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[198] [199].

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة: وقدر رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة، فقال في الموضع الأول: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ

. ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[200].

وقال في الموضع الثاني : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[201].

أما في الموضع الأول، فقد ورد التكذيب فيه لتلك المقالة من عدة وجوه:

الأول: تكذيبها من حيث نفي أن يكون قولهم ذلك وعداً وعدهم الله به، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ في إشارة إلى أن زعمهم ذلك من الأمور التي يختص الله بها علماً وقدرة وإرادة، فلا يمكن معرفته ولا الاطلاع على حقيقته إلا عن طريق إخبار الله به إما على سبيل الوعد كما هو الحال هنا، وإما على سبيل العلم[202]، حيث قال بعد ذلك ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾. أما الإخبار به على سبيل الوعد – كما يزعمون- فلم يحصل منه وعد بذلك، وهذا ما يدل عليه الاستفهام في قوله: (أتخذتم) ، فإنه "للإنكار وهو متوجه إلى زعمهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة فكأنه- سبحانه- يقول لهم إن قولكم هذا يحتمل أمرين لا ثالث لهما: إما اتخاذ عهد عند الله به، وإما القول عليه- سبحانه – بدون علم، وما دام قد ثبت أن اتخاذ العهد لم يحصل، إذاً أنتم- يا معشر اليهود- كاذبون فيما تدعون من أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة "[203]. قال الفخري الرازي : " قوله تعالى (أتخذتم) ليس باستفهام؛ بل هو إنكار لأنه لا يجوز أن يجعل تعالى حجة رسوله في إبطال قولهم أن يستفهمهم؛ بل المراد التنبيه على طريقة الاستدلال وهي أنه لا سبيل إلى معرفة هذا التقدير إلا بالسمع، فلما لم يوجد الدليل السمعي وجب ألا يجوز الجزم بهذا التقدير"[204].

"وإنما ساق القرآن الكريم الرد عليهم في صورة الاستفهام لما فيه من ظهور القصد إلى تقريرهم بأنهم قالوا على الله ما لا يعلمون، إذ هم لا يستطيعون أن يثبتوا أن الله وعدهم بما ادعوه من أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، ولا يوجد عندهم نص صحيح من كتابهم يؤيد مدعاهم. وبذلك تكون الآية الكريمة قد أبطلت مدعاهم إبطالاً يحمل طابع الإنكار والتوبيخ " [205].

الثاني: تكذيبها من حيث نفي أن يكون قولهم ذلك عن علم أوحى الله به إلى رسله أو أنزله في كتابه، وهو الطريق الثاني لمعرفة حقيقة ذلك الزعم وصدق تلك المقالة وهو إخبار الله به على سبيل العلم وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ "أي: أم تقولون على الله شيئاً ليس لكم به علم إذ العلم بمثله لا يكون إلا بوحي منه يبلغه عنه رسله، والقول على الله بغير علم جرأة وافتئات عليه وكفر به. والمعنى أنه لابد من أحد الأمرين إذ لا واسطة بينهما، إما اتخاذ عهد عند الله وإما القول على الله بغير علم، وإذا كان اتخاذ العهد لم يحصل تعين أنكم تكذبون على الله بجهلكم وغروركم " [206].

الثالث: تكذيبها من حيث إثبات ما نفوه من خلودهم في النار أو بقائهم فيها مدة طويلة، وهو ما يفيده معنى الإضراب في (بلى) الذي عقب الله به على مقالتهم تلك فقال: (بلى)، وهو "إبطال لقولهم: لن تسمنا النار إلا أياماً معدودة، وكلمات الجواب تدخل على الكلام السابق لا على ما بعدها، فمعنى (بلى): بل

أنتم تمسكم النار مدة طويلة"[207]، و"تمسكم أبداً بدليل قوله : هم فيها خالدون"[208].

الرابع: تكذيبها من حيث تقرير قاعدة استحقاق دخول النار على أساس العمل السيئ المفضي إلى ذلك، كما أن قاعدة استحقاق دخول الجنة قائمة على أساس العمل الصالح وليس على أساس الانتماء العنصري كما يزعمون، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وإن كانوا يهوداً أو نصارى، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[209].وإن لم يكونوا يهوداُ أو نصارى. فقوله: (من كسب سيئة... الخ) "سند لما تضمنته (بلى) من إبطال قولهم، أي: ما أنتم إلا ممن كسب سيئة...الخ ومن كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار، فأنتم منهم لا محالة" [210]. و"هذا حكم الله يقضي به بين عباده : يهوداً كانوا وغير يهود"[211]. "فالآية الكريمة فيها إبطال لمدعاهم وإثبات لما نفوه على وجه يشملهم ويشمل جميع من يقول قولهم، ويكفر كفرهم"[212]. أما في الموضع الثاني: فقد صرح الله فيه بتكذيب تلك المقالة فقال: ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: "ما تقولوه على الدين وأدخلوه فيه، فلذلك أتي بفي الدالة على الظرفية المجازية، ومن جملة ما كانوا يفترونه قولهم : (لن تسمنا النار إلا أياما معدودة)، وكانوا أيضاً يزعمون أن الله وعد يعقوب ألا يعذب أبناءة" [213]، وهو "من الافتراء الذي كان منشأ غرورهم في دينهم، ومثله لا يعرف بالرأي ولا بالفكر لأنه من أمر عالم الغيب، فلا يعرف إلا بوحي من الله، وليس في الوحي ما يؤيده، ولا يوثق به إلا بعهد منه عز وجل، ولا عهد بهذا.."[214]. وهناك الكثير من الآيات التي تدل على أن الجزاء مرتب على العمل إن خيراً فخيرُ، وإن شراً فشر. مثل قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[215].

الخلاصة : لقد استهدف البحث عبر المنهج التحليلي التأصيل لهمجية الفكر الإسرائيلي وخرافيته، وإثبات ذلك من خلال استعراض المقالات الإسرائيلية التي حكاها الله عنهم في القرآن وكذبها وذلك على سبيل المثال لا الحصر. فقد كانت في جملتها بمثابة أدلة قطعية على همجية وخرافية الفكر الإسرائيلي، ابتداءً بمقالاتهم المتعلقة بالتطاول على الله والإساءة إليه وسوء الأدب معه، بوصفه بالبخل والفقر وغيرهما، ومروراً بمقالات التأليه لعزير وعيسى- عليه السلام - والاعتقاد بأنهم أبناء الله وأن نسبهم يتصل عنصرياً بالذات الإلهية، واستباحة الأخر استباحة شاملة لما له ودينه وعرضه وأرضه..الخ، وربط الهداية باليهودية والنصرانية واعتبار ما سواهما أدياناً باطلة، مع الزعم بأن إبراهيم ومن بعده من أنبيائهم – عليهم السلام – كانوا من أتباعهما، وانتهاءً بالادعاء أن الجنة حق لهم لا يدخلها سواهم، وأن ذنوبهم مغفورة ، وأنهم لا يدخلون النار إلا أياماً معدودة، مهما ارتكبوا من الجرائم، ومهما اقترفوا من الأثام، لأن الله- كما يزعمون - قد وعدهم بذلك.

الهوامش

(1) أنظر: التفسير والمفسرون، للذهبي 1/169-173.

(2) أخرجه البخاري في صحيحة من حديث أبي هريرة مرفوعاً برقم (4215) 4/1630.

(3) التهُّوك: التحير. أ هـ. لسان العرب، لابن منظور، مادة (هوك) 15/160.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبدالله، برقم (15195) 3/387.

(5) أنظر: التفسير والمفسرون للذهبي 1/166-169، والإسرائيليات والموضوعات في التفسير، لأبي شهبه ص12-14.

(6) الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن، لابن الأمير الصنعاني، تحقيق د/ عبدالوهاب الديلمي، ص31.

(7) المقالة: مصدر قال يقول قولاً وقيلاً وقولة ومقالاً ومقالةً. أ هـ. لسان العرب لابن منظور، مادة (قول) 11/351.

(8) المائدة: 64.

(9) أنظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود 3/58.

(10) جامع البيان عن تأويل القرآن للقرطبي 4/639.

(11) المائدة: 64.

(12) روح المعاني 6/180.

(13) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ص327.

(14) فتح القدير 2/84.

(15) تفسير ابن كثير 2/104.

(16) النساء: 53.

(17) فتح القدير، للشوكاني 1/478.

(18) أنظر: علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف، ص151، 152.

(19) تفسير النسفي 1/391.

(20) إبراهيم: 34.

(21) آل عمران: 181.

(22) أنظر: البلاغة الواضحة، لعلي الجارم، ومصطفى أمين. ص 155، 156.

(23) آل عمران: 181.

(24) فاطر: 15.

(25) هو فنحاص بن عازوراء أحد أحبار اليهود وعلمائهم. ذكره المتقي الهندي في كنزل العمال من حديث عكرمة مولى ابن عباس برقم (4288) 2/492، وابن حجر العسقلاني في العجب العجاب في بيان الأسباب 2/805، وفي الفتح 1/297، والسيوطي في لباب النقول، ص 86، وذكره مغلب المفسرين كالطبري، والقرطبي، والألوسي، وغيرهم.

(26) إرشاد العقل السليم 3/58.

(27) روح المعاني 6/180.

(28) الشنشنة: الطبيعة والخلقة والسجية. أ هـ. لسان العرب، لابن منظور، مادة (شن) 7/220.

(29) التحرير والتنوير 1/867.

(30) جامع البيان عن تأويل القرآن 3/536.

(31) سفرا التكوين 1/5.

(32) سفر حبقوق 3/5.

(33) التلمود، ص112.

(34) سفر التكوين 32/ 24-33.

(35) المرجع السابق 6/6-8، وارمياه 15/1-8، وسفر الخروج 32/10-14.

(36) سفر هوشع 13/6-9.

(37) سفر العدد 11/24.

(38) سفر ناحوم 3/1، وسفر زكريا 14/9.
(39) يوئيل 21/2 وأشعيا 1/62، 2.
(40) صموئيل الثاني 22/ 11.
(41) مزمور 65/78.
(42) أشعيا 17/63، وحزقيال 9/14.
(43) كتاب أيوب 27/2، ويوئيل 15/3.
(44) أيوب 27/12.
(45) كتاب التلمود، ص110.
(46) سفر القضاة 12/9، 13.
(47) سفر التكوين 8/18.
(48) التوبة: 30.
(49) كما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري، برقم (4305) " أنه يقال لليهود يوم القيامة ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال كذبتم ...الخ" 1671/4.
(50) أنظر: تفسر الطبري 350/6، وابن كثير 459/2، والقرطبي 107/8، والتحرير والتنوير لابن عاشور 738/1.وغيرها.
(51) المائدة: 18.
(52) الكنز المرصود في قواعد التلمود، د/ أغسطس روهلنج، ترجمة يوسف ظهير الله ، ص66-70.
(53) التوبة: 30.
(54) تفسير أبي السعود 59/4.
(55) القواعد الأساسية للغة العربية، السيد أحمد الهاشمي، ص11، بتصرف.
(56) أنظر: حاشية الصاوي على الجلالين 145/2.
(57) أنظر: تفسير أبي السعود 59/4، والنسفي 86/2، والآلوسي 82/10.
(58) التحرير والتنوير لابن عاشور 1838/1.
(59) آل عمران: 167.
(60) الكهف: 5.
(61) الفتح: 11.
(62) تفسير القرطبي 107/8، وفتح القدير للشوكاني 512/2.
(63) روح المعاني للآلوسي 83/5.
(64) تفسير الطبري 350/6.
(65) لسان العرب، لابن منظور، مادة (ضها) 97/8.
(66) تفسر الطبري 350/6.
(67) تفسير الطبري 350/6، وتفسير ابن كثير 349/2.
(68) البقرة : 259.
(69) التوبة: 30
(70) قال تعال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ التوبة: 31.
(71)سورة التوبة: 30
(72) ذكرها المفسرون، وقد ذكرت بعض هذه التفاسير في ح (49)، ص6.
(73) الإخلاص: 1- أخرها.
(74) الجن : 3.
(75) المؤمنون: 19.

(76) الإسراء : 111.
(77) المائدة: 18.
(78) كالعهد القديم، فإنه مقدس لدى اليهود والنصارى على حد سواء. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض. ص569.
(79) مزامير 6/82.
(80) كتاب التلمود، ص140.
(81) المصدر السابق، ص127.
(82) 6/7.
(83) همجية التعاليم الصهيونية ، ص138-140.
(84) المائدة : 18.
(85) فتح القدير، للشوكاني 24/2، بتصرف.
(86) فإنها تأتي بمعنى (الإبطال) لما قبلها، وذلك إذا تلتها جملة كما هو الحال في هذه الآ ية. أنظر: مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب لابن هشام الانصاري 130/1.
(87) ص 9.
(88) آل عمران: 75.
(89) روح المعاني للآلوسي 202/3، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود 50/2.
(90) مختصر ابن كثير 292/1، وفتح القدر للشوكاني 353/1، وفي ظلال القرآن لسيد قطب 411/1.
(91) روح المعاي للآلوسي 202/3.
(92) فتح القدير للشكوكاني 353/1.
(93) تفسر الجلالين: المحلي والسيوطي، ص163.
(94) تفسير أبي السعود 50/2.
(95) في ظلال القرآن 411/1.
(96) حاشية الصاوي على الجلالين 163/1.
(97) كتاب عزرا، ص126.
(98) أشعيا 61/ 4-7.
(99) التلمود 14/8.
(100) يشوع 8/8-15.
(101) التثنية 15/13-18.
(102) الإصحاح 23.
(103) التلمود 64/11.
(104) التلمود 64/11.
(105) أنظر: العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدها، ص64، 65، والتصور اليهودي للإله بميزان الإسلام، ص76-78، 106، د/عابد توفيق زين العابدين.
(106) آل عمران : 75، 76.
(107) أخرجه الطبري في تفسيره 318/3، وابن أبي حاتم في تفسيره 15/3.
(108) حاشية الصاوي على الجلالين 163/1، وشرح كلاّ، وبَلى، ونعم، لمكي أبي طالب القيسي، ص71.
(109) روح المعاني للآلوسي 203/3.
(110) المائدة : 32.
(111) النساء: 160، 161.

(112) الزلزلة: 7، 8.

(113) البقرة: 186.

(114) غافر: 17.

(115) أنظر: تفسير الطبري 614/1.

(116) البقرة: 135.

(117) تفسير أبي السعود 165/1.

(118) تفسير البيضاوي، ص409.

(119) تفسر القرطبي 136/2.

(120) فقد كانت رسالة عيسى إلى بني إسرائيل امتداداً وتجديداً لرسالة موسى إليهم قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ المائدة: 46. وقال تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ آل عمران: 50.

(121) فإن هدف كل فريق حصر الهداية في دينه واختصاصه بها.

(122) فتح القدير للشوكاني 128/1.

(123) التحرير والتنوير لابن عاشور 422/1.

(124) المصدر السابق 422/1، والشخصية اليهودية من خلال القرآن، د/ صلاح الخالدي ، ص138.

(125) إرشاد العقل السليم 165/1.

(126) وهناك صور أخرى عرضها علينا القرآن مثل: (العولمة) التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ البقرة: 120. وقوله تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ البقرة: 217. ، (التعاليم على الآخرين) الذي يشعر به لفظ (الأميين) في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ آل عمران: 75.

(127) كتلك التي تصدر عن المنظمات والمراكز الإسلامية في العالم كالمؤتمر الإسلامي□وغيره.

(128) جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، ص327.

(129) مقدمة (حكومة العالم الخفية) شيريب سبير يدوفيتش، ترجمة مأمون سعد، تقديم أحمد راتب عرموش، ص13 نقلاً عن مجلة القوات المسلحة بالقاهرة، عدد (421) لسنة 1964م.

(130) البقرة: 120.

(131) السورة السابقة: 217.

(132) البقرة : 135-137.

(133) قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: 25.

(134) البقرة: 135.

(135) البقرة: 136.

(136) البقرة: 137.

(137) البقرة: 140.

(138) البقرة: 113.

(139) آل عمران: 71.

(140) البقرة: 42.

(141) البقرة: 140.

(142) فتح القدير للشوكاني 146/1.

(143) كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران: 67. " وهؤلاء المعطوفون عليه [في مقالتهم من الأنبياء] أتباعه في الدين ورفاقه، فحالهم حاله" روح المعاني للآلوسي 400/1.

(144) العلق: 2-5.
(145) البقرة: 32.
(146) يوسف: 37.
(147) مختصر ابن كثير للصابوني 134/1.
(148) آل عمران: 67.
(149) البقرة : 133.
(150) البقرة : 135، 136.
(151) آل عمران: 19.
(152) العقلية اليهودية، د/ يحيى محمد عامر، ص76، 77، بتصرف.
(153) يقول الآلوسي في قوله تعالى: ﴿ ويقولون سيغفر لنا﴾: "القول بمعنى الاعتقاد" روح المعاني 96/5.
(154) الآعراف: 169.
(155) أنظر تفسير الطبري 104/6، وتفسير القرطبي 273/7.
(156) أنظر المبحث الثالث. ص10، والمبحث الرابع ص12.
(157) حاشية الصاوي على الجلالين 105/2.
(158) أنظر المبحث الرابع. ص12.
(159) في فلسطين والعراق ولبنان والصومال والسودان وأفغانستان، وغيرها.
(160) الممتحنة: 13.
(161) مختصر ابن كثير، للصابوني 490/3.
(162) فتح القدير للشوكاني 218/5.
(163) كقولهم: ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ البقرة : 111، وقولهم: ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ البقرة: 80.
(164) الأعراف: 169.
(165) تفسير البغوي. ص 295.
(166) تفسير الجلالين 145/1.
(167) نقلاً عن الكشاف للزمخشري 134/1.
(168) آل عمران: 129.
(169) المائدة: 118.
(170) القصص: 16.
(171) نوح: 10.
(172) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر برقم (2577) 1995/4.
(173) النساء: 17.
(174) السورة السابقة: 18.
(175) النور: 31.
(176) التحريم: 8.
(177) ص 12.
(178) البقرة: 111.
(179) كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ البقرة: 113.
(180) لابن هشام الانصاري 77/1.
(181) روح المعاني للآلوسي 358/1.
(182) البقرة: 105.

(183) الشخصية اليهودية من خلال القرآن د/ صلاح الخالدي، ص137، 138، بتصرف.
(184) كالعولمة ومحاربة الإرهاب، ونشر الديمقراطية، وحقوق الإنسان□الخ.
(185) البقرة: 111، 112.
(186) تفسير الطبري 538/1.
(187) أنظر: روح المعاني للآلوسي 360/1.
(188) البقرة: 112.
(189) في ظلال القرآن سيد قطب 103/1.
(190) النساء: 124.
(191) سورة الزخرف: 72.
(192) المائدة: 72.
(193) أية: 80.
(194) أية: 23، 24.
(195) أنظر الأساس في التفسير، سعيد حوى 169/1، وروح المعاني للآلوسي 304/1.
(196) في ظلال القرآن، سيد قطب 85/1.
(197) أنظر: زهرة التفسير، محمد أبو زهرة 285/1.
(198) الممتحنة: 13.
(199) أنظر ص: 19.
(200) البقرة: 80، 81.
(201) آل عمران: 24.
(202) أنظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا 315/1، 316.
(203) التفسير الوسيط للقرآن د/ محمد السيد طنطاوي 241/1.
(204) التفسير الكبير 143/2.
(205) التفسير الوسيط للقرآن الكريم د/ محمد السيد طنطاوي 241/1.
(206) تفسير المنار، محمد رشيد رضا 316/1.
(207) التحرير والتنوير لابن عاشور 580/1.
(208) الكشاف للزمخشري 147/1، 148.
(209) البقرة: 81، 82.
(210) التحرير والتنوير لابن عاشور 581/1.
(211) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب 103/1.
(212) التفسير الوسيط للقرآن الكريم د/ محمد السيد طنطاوي 241/1.
(213) التحرير والتنوير لابن عاشور 737/1.
(214) تفسير المنار، محمد رشيد رضا 236/3.
(215) الزلزلة: 7، 8.

المراجع والمصادر

1- أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: العجب العجاب في بيان الأسباب، دار ابن الجوزي. العسودية، ط1، 1418هـ - 1997م تحقيق، عبدالكريم محمد الأنيس.
2- أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: فتح الباري، دار المعرفة. بيروت، د، ط، ت.
3- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: مسند أحمد، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط1، 1416هـ- 1984م.

4- أحمد بن محمد الصاوي: حاشية الصاوي على الجلالين، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام. د، ط، ت.

5- إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر. بيروت ، ط1، 1400هـ-1980م.

6- أغسطس روهلنج: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف ظهير الله، د، ط، ت.

7- بولس حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، د ، ط ، ت.

8- الحسين بن سعود البغوي: معالم التنزيل ، دار طيبة للنشر والتوزيع. ط4، 1417هـ-1997م.

9- سعيد حوى: الأساس في التفسير، دار السلام. القاهرة ، ط6، 1424هـ-2003م.

10- السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العالمية. بيروت ، د، ط، ت.

11- سيد قطب: في ظلال القرآن ، دار الشروق. بيروت ، ط32، 1423هـ 2003م.

12- شيريب سبيريد وفيتش: حكومة العالم الخفية، دار النفائس. بيروت، ط1، 1394هـ -1974م.

13- صلاح عبد الفتاح الخالدي، الدكتور: الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دار القلم.دمشق، ط1419،1هـ1998م.

14- عا بد توفيق ز ين العابدين: التصور اليهودي للإله بميزان الإسلام، دار إقرأ للنشر والتوزيع. صنعاء ط1، 1412 هـ 1992م.

15- عابد توفيق زين العابدين: العقيد اليهودية في فلسطين، دار إقرأ للنشر والتوزيع. صنعاء، ط1، 1412هـ-1992م.

16- عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم. بيروت، ط2، 1979.

17- عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (وآخرون) تفسير القرآن العظيم ، المشهور (بالجلالين)، المكتبة الأفريقية. القاهرة، د، ط ، ت.

18- عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي: تفسير ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية.بيروت د، ت.

19- عبدالكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي. بيروت ، د ، ت.

20- عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المعروف (بتفسير النسفي) ، د، ط ، ت.

21- عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية. بيروت، 1416هـ1995.

22- عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف (بتفسير البيضاوي)، دار الفكر. بيروت، د، ت.

23- عبدالوهاب خلاف، الدكتور: علم أصول الفقه، دار القلم.الكويت، ط12، 1398هـ-1978م.

24- علي بن أحمد الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم. بيروت، ط1، 1415هـ، تحقيق، صفوان عدنان داوودي.

25- علي الجارم (وأخرون): البلاغة الواضحة . الناشر، محمد أمين دمج. د ، ت.

26- علي المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الكتب العلمية.بيروت، ط1، 1412هـ-1998م.

27- الكتاب المقدس- العهد القديم، العهد الجديد- جمعية الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بيروت ، 1986م.

28- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط1372،1هـ- 1952م.

29- محمد أحمد مصطفى أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي. القاهرة، د، ط، ت.

30- محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن، مكتبة الإرشاد. صنعاء ط1، 1412هـ- 1992م ، تحقيق ، د/ عبد الوهاب الديلمي.

31- محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار الفكر. بيروت ، 1401هـ- 1981م.
32- محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، المسمى (جامع البيان عن تأويل القرآن) مطبعة البابي الحلبي وأولاده. القاهرة ط2، 1373هـ- 1954م.
33- محمد حسين الذهبي، الدكتور: التفسير المفسرون، مكتبة وهبة. ط3، 1405هـ 1985م.
34- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار إحياء التراث العربي. بيروت ، ط1، د، ت.
35- محمد السيد الطنطاوي ، الدكتور: التفسير الوسيط للقرآن، ط3، 1407هـ 1987م.
36- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، سحنون للتوزيع والنشر.تونس ، د، ط، ت.
37- محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، دار الفكر. 1403هـ - 1983م.
38- محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم. بيروت ، ط7، 1402هـ 1981م.
39- محمد بن عمر بن حسين (فخر الدين الرازي): مفاتيح الغيب، الشهير ب(التفسير الكبير) دار الفكر. بيروت ، 1410 هـ- 1995م.
40- محمد محمد أبو شهبة، الدكتور: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة.القاهرة ، ط4، 1408هـ.
41- محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: إرشاد العقل السليم ، المعروف ، (بتفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي بيروت، د، ط، ت.
42- محمد بن مكرم بن علي بن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي. بيروت ، ط1، 1408هـ 1988م.
43- محمود بن عبد الله بن محمود الألوسي: روح المعاني، دار الفكر. بيروت، 1408هـ-1987م.
44- محمود بن عمر بن محمد الزمخشري: الكشاف، مكتبة العميكان.الرياض، ط1418،1ه-1998م
45- مسلم بن الحاج القشيري: صحيح مسلم، دار الحديث. القاهرة، ط1، 1412هـ-1991م.
46- مكي بن أبي طالب القيسي: شرح كلاّ وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله، دار المأمون للتراث. دمشق، ط1، 1398هـ- 1978، تحقيق ، د/ أحمد حسن فرحات.
47- يحيى محمد عامر راشد، الدكتور: العقلية اليهودية في القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة إب الجمهورية اليمنية، لم تطبع بعد.